

## 150748 - هل يجوز التلفظ بكلمة الكفر حفاظاً على النفس ؟ وأيها أولى الصبر أم التلفظ بها؟

### السؤال

قال لي أحد الأصدقاء إن الكذب من أجل حفظ النفس فرض ، وأن ذلك ذكر في القرآن ، ولعله استدل بقصة عمّار بن ياسر وقوله تعالى ( إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ) بينما الذي أعرفه أنا أنه لا يجوز للشخص أن يقول إنه غير مسلم مهما كان الأمر ، بل يجب أن يعتز بإسلامه تحت أي ظرف كان . السؤال هو : لو أن شخصاً وقع في ظرف يجبره على أن يقول إنه غير مسلم وإلا مات ، فما العمل ؟ هل يقول إنه غير مسلم وينجو من الموت أم العكس ؟ .

### الإجابة المفصلة

أولاً:

ما قاله لك صديقك من جواز التلفظ بالكفر لحماية لنفس المتكلم بها من الضرر أو الأذى الذي لا يُحتمل : صحيح ، وقد ثبت ذلك في القرآن ، وروى في السنّة ما يؤيده ، ولم يختلف العلماء فيه .  
أما القرآن :

فقد قال تعالى ( مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) النحل / 106 .  
قال الطبري - رحمه الله - :

عن ابن عباس قال : فأخبر الله سبحانه أنه من كفر من بعد إيمانه : فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم ، فأما من أكره فتكلم به لسانه وخالفه قلبه بالإيمان لينجو بذلك من عدوّه : فلا حرج عليه ؛ لأن الله سبحانه إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم .  
" تفسير الطبري " ( 17 / 305 ) .

وأما السنّة :

أَخَذَ الْمُشْرِكُونَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ فَلَمَّ يَتْرَكُوهُ حَتَّى سَبَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- وَذَكَرَ آلَهُتَهُمْ بِخَيْرٍ، ثُمَّ تَرَكَوهُ . فَلَمَّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ : « مَا وَرَاءَكَ؟ » . قَالَ : شَرُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ مَا تَرَكْتُ حَتَّى نَلْتُ مِنْكَ ، وَذَكَرْتُ آلَهُتَهُمْ بِخَيْرٍ؟! قَالَ : « كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟ » . قَالَ : مُطْمَئِنًّا بِالْإِيمَانِ . قَالَ : « إِنَّ عَادُوا فَعُدْ » .  
رواه الحاكم في " المستدرک " ( 2 / 389 ) والبيهقي في " السنن الكبرى " ( 8 / 208 ) . وإسناده ضعيف ، وروى من طرق كثيرة متعددة ، يدل على أن للقصة أصلاً .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - :

وهذه المراسيل تقوى بعضها ببعض .

” فتح الباري ” ( 12 / 312 ) .

وأما الإجماع :

أ. فقد قال ابن حزم رحمه الله :

” اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْمُكْرَهَ عَلَى الْكُفْرِ وَقَلْبَهُ مَطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ أَنَّهُ لَا يُلْزَمُهُ شَيْءٌ مِنَ الْكُفْرِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى .. ” انتهى .

“مراتب الإجماع” (61) . وينظر : “الإقناع في مسائل الأجماع” لابن القطان (2/272) .

ب. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

” ولهذا لم يكن عندنا نزاع في أن الأقوال لا يثبت حكمها في حق المكره بغير حق .. ” انتهى .

“الاستقامة” (2/210) .

ج. وفي ” الموسوعة الفقهية ” ( 22 / 182 ) :

واتفق الفقهاء على أن من أكره على الكفر فأتى بكلمة الكفر : لم يصر كافراً .

انتهى

ثانياً:

الإكراه الذي يعذر صاحبه هو الإكراه الملجئ لصاحبه على قول تلك الكلمة .

جاء في ” الموسوعة الفقهية ” ( 22 / 182 ) :

والإكراه نوعان : نوع يوجب الإلجاء والاضطرار طبعاً ، كالإكراه بالقتل أو القطع أو الضرب الذي يخاف فيه تلف

النفس أو العضو ، قلَّ الضرب أو كثر .

وهذا النوع يسمَّى ” إكراهاً تاماً ” .

ونوع لا يوجب الإلجاء والاضطرار ، وهو الحبس أو القيد أو الضرب الذي لا يخاف منه التلف ، وهذا النوع من

الإكراه يسمَّى ” إكراهاً ناقصاً ” .

انتهى .

وقد ذكر العلماء شروطاً للإكراه التام الملجئ لقول كلمة الكفر ، وهي :

أ. أن يكون التهديد بما يسبب إتلافاً كالقتل والقطع ، أو أذى لا يحتمله المسلم كالحبس ، والضرب .

ب. أن يكون المكره قادراً على تحقيق ما هدد به .

ج. أن يكون المكره عاجزاً عن الدفاع عن نفسه ، ولو بالهرب أو بالاستغاثة بغيره .

د. أن يغلب على ظن المكره وقوع ما هدد به المكره .

وانظر جواب السؤال رقم ( 70558 ) ففيه نقل مهم عن ابن قدامة المقدسي في ذلك .

ثالثاً:

هل يجوز للمكره أن يصبر ويحتمل الضرر والأذى ولو قُتل في سبيل ذلك ؟

نعم يجوز له ذلك ، وقد فعله بلال بن رباح رضي الله عنه وغيره .

قال ابن كثير - رحمه الله - :

ويجوز له أن يستقتل ، كما كان بلال رضي الله عنه يأبى عليهم ذلك ، وهم يفعلون به الأفاعيل ، حتى إنهم ليضعون الصخرة العظيمة على صدره في شدة الحر ، ويأمرونه أن يشرك بالله فيأبى عليهم وهو يقول : " أحد ، أحد " ، ويقول : والله لو أعلم كلمة هي أغيب لكم منها لقلته ، رضي الله عنه وأرضاه .

" تفسير ابن كثير " ( 4 / 606 ) .

رابعاً:

وأيهما أفضل : الصبر والتحمل ولو أدى إلى الموت ، أم الترخص برخصة الشرع وإظهار الكفر باللسان ؟ .  
الأقرب أن يقال : الأفضل هو الصبر والتحمل ، وخاصة لمن كان من أهل العلم أو الفضل أو القدوة للناس ، وهو قول الجمهور .

قال ابن كثير - رحمه الله - :

والأفضل والأولى : أن يثبت المسلم على دينه ، ولو أفضى إلى قتله .

" تفسير ابن كثير " ( 4 / 606 ) .

وفي " الموسوعة الفقهية " ( 35 / 18 ) :

ويتفق الحنفية والمالكية والحنابلة وهو الأصح عند الشافعية : على أن الصبر والثبات على الإيمان مع الإكراه ولو كان بالقتل : أفضل من الإقدام على الكفر ، حتى لو قتل كان مأجوراً ؛ لما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مِنْ دُونِ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ) - رواه البخاري - .

ومقابل الأصح عند الشافعية أوجه :

أحدها : الأفضل الإتيان بكلمة الكفر صيانة لنفسه .

والثاني : إن كان من العلماء المقتدى بهم : فالأفضل الثبوت .

والثالث : إن كان يتوقع منه الإنكاء - أي : في العدو - والقيام بأحكام الشرع : فالأفضل أن ينطق بها لمصلحة بقائه ، وإلا فالأفضل الثبوت .

انتهى

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية الحديث السابق في شأن من كان صبر على القتل الشنيعة المذكورة ، ممن سبق قبلنا ، ثم قال :

" ومعلوم أن هذا إنما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في معرض الثناء على أولئك ، لصبرهم وثباتهم ، وليكون ذلك عزة للمؤمنين من هذه الأمة " انتهى من " الاستقامة " ( 2/332 ) .

خامساً:

قال الأخ السائل " الذي أعرفه أنا أنه لا يجوز للشخص أن يقول إنه غير مسلم مهما كان الأمر ، بل يجب أن يعتز

بإسلامه تحت أي ظرف كان .

قد يظن ظان أن هذا الكلام يؤيده ما ورد في السنة عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ( أَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَإِنْ قُطِّعَتْ وَحُرِّقَتْ وَلَا تَتْرَكَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا فَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرَّتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ وَلَا تَشْرَبِ الْحَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ ) .

رواه ابن ماجه ( 4034 ) وحسنه الألباني في " صحيح ابن ماجه " .

لكن الواقع أن هذا الحديث ليس فيه المنع من الأخذ بالرخصة ، بل فيه بيان الأفضل عند الإكراه ، وقد سبق أن قول الجمهور أن الأفضل : الصبر والتحمل ، وأما الرخصة فثابتة في كتاب الله تعالى .

قال أبو الحسن المباركفوري - رحمه الله - :

وهذا يدل على أنه ينبغي اختيار الموت والقتل دون إظهار الشرك ، وهو وصية بالأفضل والعزيمة ، فإنه يجوز التلطف بكلمة الكفر والشرك عند الإكراه ؛ لقوله تعالى : ( إِنْ مِنْكُمْ مِنْ أَكْرَهٍ وَقَلْبُهُ مَطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ) النحل / 106 .  
" مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " ( 2 / 283 ) .

وهذا الجواب في الواقع على سبيل التنزل .

وإلا ، فالواقع أن ما يقوله المكروه ، وإن كان في نفسه شركا ؛ فإنه ليس شركا في حقه ، ولا يسمى بمجرد ذلك : مشركا ، بل هو ما زال مؤمنا ، لم يثلم إيمانه شيء ، ولم يقع هو في الشرك ، ولا عبرة بهذا القول الذي أكره عليه ، ما دام قلبه مطمئنا بالإيمان ؛ وحينئذ فهو لم يخالف هذا الحديث ، ولم يشرك بالله .  
لكن المشكلة حقا ، هي أن يخاف بعضهم من القتل ، أو الأذى ، أو نحو ذلك من حصول ضرر ، أو فوات نفع ، فيقع في الشرك ، وينشرح صدره بذلك ، فيكون مشركا مرتدا .

والله أعلم